

## مَحْبُوبٌ مِنَ اللَّهِ

### المحاضرة ٧: مَحَبَّةُ اللَّهِ الْمَيَّالَةَ إِلَى الْخَيْرِ

أ. ر. سي. سبرول

في مُحَاضَرَتِنَا السَّابِقَةِ أَلْقَيْنَا نَظْرَةً وَجِيزَةً عَلَى الْفِكْرَةِ الشَّائِعَةِ، وَهِيَ مَحَبَّةُ اللَّهِ غَيْرَ الْمَشْرُوطَةِ. وَأَطْلَقْتُ تَحْذِيرًا جَدِيدًا بِشَأْنِ إِمْكَانِيَّةِ إِسَاءَةِ فَهْمِ تِلْكَ الْفِكْرَةِ بِكُلِّ سُهُولَةٍ مِنْ قِبَلِ الَّذِينَ يَسْمَعُونَهَا. وَوَعَدْتُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ بِالتَّكَلُّمِ عَنْ إِطَارٍ مُعَيَّنٍ تَكُونُ فِيهِ مَحَبَّةُ اللَّهِ غَيْرَ مَشْرُوطَةٍ، وَعَنْ إِطَارٍ لَا تَكُونُ فِيهِ كَذَلِكَ، فِي هَذِهِ الْمُحَاضَرَةِ الْيَوْمِ.

نَحْنُ نُدْرِكُ جَمِيعًا أَنَّ اخْتِصَاصَ الْمَرْأَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ هُوَ أَنْ تُغَيِّرَ رَأْيَهَا، وَكَذَلِكَ أَيْضًا، مِنْ الْبَدِيهِيِّ أَنَّ اخْتِصَاصَ اللَّاهُوتِيِّ هُوَ تَمْيِيزُ الْفُرُوقِ الدَّقِيقَةِ. إِذَا، مَا أُرِيدُ فِعْلُهُ الْيَوْمَ هُوَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مُحَدَّدَةٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ مِنْ حَيْثُ ارْتِبَاطُهَا بِشَخْصِ اللَّهِ. وَأَنْوَاعُ الْمَحَبَّةِ الثَّلَاثَةُ الَّتِي نُمَيِّزُهَا يُمَكِّنُ تَعْرِيفَهَا عَلَى أَنَّهَا: أَوَّلًا، الْمَحَبَّةُ الْمَيَّالَةُ إِلَى الْخَيْرِ، ثَانِيًا، الْمَحَبَّةُ الْمُحْسِنَةُ، وَثَالِثًا، الْمَحَبَّةُ الرَّاضِيَةُ. اِكْتَشَفْتُ خِلَالَ مَسِيرَةِ حَيَاتِي أَنَّ عَدَدًا قَلِيلًا جِدًّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْجِي هَذَا التَّمْيِيزَ التَّارِيخِيَّ لِأَنْوَاعِ أَوْ فِئَاتِ الْمَحَبَّةِ الثَّلَاثِ هَذِهِ. إِذَا، أُرِيدُ أَنْ أَكْرِسَ بَعْضَ الْوَقْتِ الْيَوْمَ لِتَعْرِيفِهَا. وَلَأَرَى إِنْ كَانَ بِإِمْكَانِنَا إِجَادَ بَعْضِ الْأَمْثَلَةِ الْكِتَابِيَّةِ عَلَى كُلِّ مَذْهَبٍ.

لَكِنْ فَلْتَبْدَأْ أَوَّلًا بِمَحَبَّةِ اللَّهِ الْمَيَّالَةِ إِلَى الْخَيْرِ. أَوَّلًا، سَنُذَوِّنُ ذَلِكَ عَلَى اللُّوْحِ. بِالطَّبَعِ، سَبَقَ أَنْ سَمِعْنَا هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ جِنِّ لِأَخَرٍ، وَيُمْكِنُنَا تَقْسِيمُهَا مِنْ حَيْثُ جُذُورِهَا اللُّغَوِيَّةِ، لَدَيْنَا بَادئَةٌ وَجَذْرٌ. الْبَادئَةُ "بِنِي" تَعْنِي خَيْرًا، أَوْ صَاحًا. نَقَرُّ فِي الـ"بِنِيدِيكْسِن" أَوْ مَنَحِ الْبَرَكَةِ فِي آخِرِ الْاجْتِمَاعِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ صَالِحٍ، حَيْثُ نَطْلُبُ أَنْ يَصْنَعَ اللَّهُ خَيْرًا لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ النَّصْرِيحِ الْآخِرِ. وَكَلِمَةُ "فُولْنِس" مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْكَلِمَةِ اللَّاتِينِيَّةِ "فُولْنِر"، وَهِيَ تَعْنِي مَشِيئَةً أَوْ نِيَّةً. إِذَا، حَرْفِيًّا، مَا نَقْضُهُ حِينَ نَتَكَلَّمُ عَنْ "بِنِيدِيكْسِن" هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْمَشِيئَةِ الصَّالِحَةِ. وَالْكَلِمَةُ الْمُنَاقِضَةُ لَهَا أَوْ نَقِيضُهَا الْمُبَاشِرُ هُوَ "مَالْفُولْنِس" أَيْ الضَّغِينَةُ، أَيْ مَشِيئَةُ شَرِيرَةٍ أَوْ مَيْلٌ شَرِيرٌ لَا نَنْسِبُهُ أَبَدًا إِلَى اللَّهِ. إِذَا، مَيْلٌ إِلَى اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ مُرْتَبِطٌ بِمَشِيئَتِهِ الصَّالِحَةِ تَجَاهَ النَّاسِ.

سَأَذْكُرْكُمْ بِالْإِعْلَانِ السَّمَاوِيِّ الَّذِي أَعْلَنَهُ لُوقَا فِي سَرْدِ قِصَّةِ الْمِيلَادِ، حَيْثُ إِنَّنَا مَعَ ظُهُورِ الْمَلَائِكَةِ نَقْرَأُ فِي الْأَصْحَاحِ ٢ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا وَالآيَةِ ٨: "وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلَائِكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجَّدَ الرَّبِّ أَصْأَةً حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكُ: «لَا تَخَافُوا! فَهِيَ أَنَا أَبْتَشِرْكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخْلِصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلًا مَقْمَطًا مُضْجَعًا فِي مِدْوَدٍ". نَجِدُ هُنَا الْإِعْلَانَ الْمَلَائِكِيِّ، النَّبْشِيرَ الْمَلَائِكِيِّ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ بِوِلَادَةِ يَسُوعَ الْمَخْلِصِ.

ثُمَّ نَقَرَأُ "وَضَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلَائِكِ جُمُهورٍ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامِ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ»". نَعْرِفُ جَمِيعًا تِلْكَ الْآيَةَ: "عَلَى الْأَرْضِ السَّلَامِ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ". ثَمَّةَ تَرْجَمَاتٍ أُخْرَى مُخْتَلَفَةٌ لِهَذِهِ الْآيَةِ، وَهِيَ "عَلَى الْأَرْضِ السَّلَامِ لِأَصْحَابِ الْمَشِيئَةِ الصَّالِحَةِ". لِأَنَّهُ يُوجَدُ التَّنَاسُ لُغَوِيٌّ هُنَا يَجْعَلُنَا نَسَاءُلُ عَمَّا إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَشِيئَةُ الصَّالِحَةُ تَعْبِيرًا عَنِ مَشِيئَةِ اللَّهِ الصَّالِحَةِ نُجَاهَنَا، أَوْ عَنِ وَعْدِ اللَّهِ لِلنَّاسِ الَّذِينَ يُبْدُونَ مَشِيئَةَ صَالِحَةٍ الْوَاحِدِ نُجَاهَ الْآخَرِ. أَنَا أَفْضَلُ التَّفْسِيرِ الْكَلَّاسِيكِيِّ لِلأَمْرِ، وَهُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ الصَّالِحَةِ.

بِالطَّبَعِ حِينَ نَتَكَلَّمُ عَنِ مَشِيئَةِ اللَّهِ الصَّالِحَةِ فَإِنَّا نُكْرِرُ تَعْبِيرًا، فِي الْوَاقِعِ، نَحْنُ نُكْرِرُ فِعْلًا، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَدَى اللَّهِ أَيَّةُ مَشِيئَةٍ أُخْرَى سِوَى الْمَشِيئَةِ الصَّالِحَةِ. يُمَكِّنُنَا أَنْ نَعْتَرِضَ أَنَّ مَشِيئَتَهُ تُظْهِرُ دَائِمًا صِفَاتِهِ وَشَخْصَهُ، وَهِيَ صَالِحَةٌ. أَحَدُ الْأُمُورِ الَّتِي كُنَّا نَحَاوِلُ فِعْلَهَا طَوَالَ هَذِهِ السَّلْسِلَةِ حَوْلَ مَحَبَّةِ اللَّهِ، هُوَ الْمُلَاحَظَةُ كَيْفَ أَنَّ صِفَةَ الْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ مُرْتَبِطَةٌ بِصِفَاتِ اللَّهِ الْاُخْرَى؛ رَأَيْنَا كَيْفَ أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ هِيَ مَحَبَّةٌ إِلَهِيَّةٌ، وَهِيَ مَحَبَّةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَمَحَبَّةٌ سَيَادِيَّةٌ، إِلَى آخِرِهِ. وَالآنَ نَرَى أَنَّ مَحَبَّتَهُ مُرْتَبِطَةٌ بِرْتِبَاطًا وَثِيقًا بِصِلَاحِهِ. فِي يُوْحَنَّا ٣: ١٦ نَجِدُ تِلْكَ الْآيَةَ الشَّهِيرَةَ: "لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَّلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ"، مَا يَصِفُ مَشِيئَةَ اللَّهِ بِأَنَّ يُرْسِلَ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ. وَحِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ الْابْنَ إِلَى الْعَالَمِ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُجَرَّدَ تَعْبِيرٍ عَنِ مَشِيئَتِهِ بَلْ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ تَعْبِيرًا عَنِ مَشِيئَتِهِ الصَّالِحَةِ، وَعَنِ كَوْنِهِ قَدْ سَرَّ بِإِرْسَالِ ابْنِهِ الْوَحِيدِ إِلَى الْعَالَمِ.

نَحْنُ نَسْمَعُ أحيانًا، وَضَمْنَ إِطَارِ وَصْفِ الْحُكَّامِ تَارِيخِيًّا، بِمَا يُعْرِفُ بِالذِّكْتَاتُورِ الْمُحِبِّ لِلْخَيْرِ. اعْتَبَرَ الْبَعْضُ فِكْرَةَ الذِّكْتَاتُورِ الْمُحِبِّ لِلْخَيْرِ بِمِثَابَةِ إِزْدَافِ خَلْفِيٍّ لِأَنَّا نَرْتَبُطُ بِمَفْهُومِ الذِّكْتَاتُورِ عَادَةً لَيْسَ بِالْمَشِيئَةِ الصَّالِحَةِ بَلْ بِالنِّيَّةِ الشَّرِيرَةِ، بِشَخْصِ شَرِيرٍ أَوْ ظَالِمٍ وَمُسْتَبِدٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ. لَكِنَّا نُدْرِكُ نَظْرِيًّا، وَحَتَّى فِي التَّارِيخِ، أَنَّ ثَمَّةَ أَشْخَاصًا تَسَلَّمُوا مَرَكَزَ سُلْطَةٍ، وَكَانُوا مُلُوكًا مِثْلًا أَوْ أَبَاطِرَةً، أَبَدُوا مَشِيئَةَ صَالِحَةٍ نُجَاهَ أَتْبَاعِهِمْ. وَنَحْنُ نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ أَسَاسًا، وَهُوَ الْحَاكِمُ الْأَعْلَى لِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، يَتَمَتَّعُ بِسُلْطَانٍ أَعْلَى مِنْ سُلْطَانِ أَيِّ ذِكْتَاتُورٍ أَرْضِيٍّ، وَرَعْمَ ذَلِكَ يَحْكُمُ وَيَمْلِكُ بِمَشِيئَةِ خَيْرَةٍ، بِمَشِيئَةِ صَالِحَةٍ. يُمَكِّنُنِي أَيْضًا أَنْ أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ، فِكْرَةَ أَنَّا حِينَ نَتَكَلَّمُ عَنِ مَحَبَّةِ اللَّهِ الْمِيَالَةَ إِلَى الْخَيْرِ فَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ مُجَدِّدًا عَنِ مَشِيئَتِهِ، وَذَلِكَ الْبُعْدُ لِمَشِيئَتِهِ الَّذِي نُسَمِّيهِ "مِثْلَ الْمَشِيئَةِ"، وَهَذَا يَصِفُ وَضَعَ اللَّهِ أَوْ مَوْقِفَهُ الْأَسَاسِيَّ نُجَاهَ خَلِيقَتِهِ.

سَأَخْصِصُ بَعْضَ الْوَقْتِ هُنَا لِلرُّجُوعِ إِلَى صَفْحَاتِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، إِلَى نَصِّ أَعْتَبَرُهُ مُهِمًّا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. لَقَدْ أَضَعْتُهُ، لَكِنِّي سَاجِدُهُ سَرِيعًا. سَفَرُ النَّبِيِّ حَزَقِيَالِ وَالْأَصْحَاحُ ٣٣. فِي حَزَقِيَالِ ٣٣ وَابْتِدَاءً مِنَ الْآيَةِ ١٠ نَقْرَأُ مَا يَلِي: "وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ قُلْ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ مَعْاصِينَا وَخَطَايَانَا عَلَيْنَا، وَبِهَا نَحْنُ فَانُونَ، فَكَيْفَ نَحْنَا؟ قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لَا أَسْرُّ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ، بَلْ بِأَنَّ يَرْجِعَ الشَّرِيرُ عَنِ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا.

ارْجِعُوا، ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمْ الرَّدِيئَةِ! فَلِمَ آذًا تَمُوتُونَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ؟" أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنْ هَذَا النَّصِّ اقْتَبَسَ فِرَانْسِيْس شَائِفِر عُنْوَانًا لِمَا قَدْ يَكُونُ كِتَابَهُ الْأَكْثَرُ شُهْرَةً "فَكَيْفَ نَحْيًا؟" لِأَنَّ حِرْقِيَالِ يَذْكُرُ هَذَا السُّؤَالَ الْأَسَاسِيَّ هُنَا.

لَكِنْ لَاحِظُوا أَنَّهُ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالذَّاتِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُسَرُّ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ لِأَنَّ مَوْقِفَهُ الْأَسَاسِيَّ حَتَّى تُجَاهَ الْبَشَرِيَّةِ السَّاقِطَةِ، حَتَّى هُوَ الْإِنْسَانِ الْمُعْرِضِينَ لِعَظْبِهِ هُوَ مَوْقِفٌ مَيَّالٌ إِلَى اللَّطْفِ وَالْخَيْرِ. الْآنَ، يَجِبُ أَنْ نَرَى أَنَّ هَذَا الْإِعْلَانَ بِالذَّاتِ، الَّذِي يُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ لَا يُسَرُّ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ، يَتَّبِعُ كَلَامًا سَابِقًا سَأَلْتِ النَّظَرَ إِلَيْهِ. فِي الْآيَةِ ٧ يَقُولُ حِرْقِيَالِ: "وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَقَدْ جَعَلْتَنِي رَقِيبًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَسْمَعُ الْكَلَامَ مِنْ فَمِي، وَتُحَذِّرُهُمْ مِنْ قَلْبِي. إِذَا قُلْتَ لِلشَّرِيرِ: يَا شَرِيرُ مَوْتًا تَمُوتُ! فَإِنَّ لَمْ تَتَكَلَّمْ لِتُحَذِّرِ الشَّرِيرَ مِنْ طَرِيقِهِ، فَذَلِكَ الشَّرِيرُ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ، أَمَّا دَمُهُ فَمِنْ يَدِكَ أَطْلُبُهُ. وَإِنْ حَذَرْتَ الشَّرِيرَ مِنْ طَرِيقِهِ لِيَرْجِعَ عَنْهُ، وَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ طَرِيقِهِ، فَهُوَ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ خَلَصْتَ نَفْسَكَ".

مِنْ الْمُهْمِ جَدًّا أَنْ تَفْهَمَ ذَلِكَ، لِأَنَّ بَعْضَ الْأَشْخَاصِ، وَاسْتِنَادًا إِلَى مَبْدَأِ مَحَبَّةِ اللَّهِ الْمَيَّالَةِ إِلَى الْخَيْرِ، اسْتَوْحُوا مِنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ مَفْهُومَ الْخَلَاصِ الْكُونِي، أَيُّ أَنَّهُ إِنْ كَانَ اللَّهُ خَيْرًا فِي مَوْقِفِهِ تُجَاهَ جَمِيعِ الْبَشَرِ، وَكَانَ يُحِبُّ جَمِيعَ النَّاسِ مَحَبَّةً خَيْرَةً، فَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ فِي نِهَائِهِ الْمَطَافِ لَنْ يَهْلِكَ أَحَدٌ وَلَنْ يَذْهَبَ أَحَدٌ إِلَى الْجَحِيمِ، لِأَنَّ إِسْرَائِيلَ اللَّهُ أَحَدَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ هُوَ انْتِهَاكَ لِصِفَتِهِ وَكِيَانِهِ، أَيُّ مِثْلِهِ إِلَى الْخَيْرِ. لَكِنْ هُنَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ نَرَى الْعَكْسَ تَمَامًا، أَيُّ أَنَّهُ فِي هَذَا الْاِقْتِرَانِ الْوَثِيقِ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْجَمَلَتَيْنِ؛ مِنْ نَاحِيَةٍ، إِنَّهُ يُحَذِّرُ النَّاسَ مِنَ الْعَوَاقِبِ إِنْ لَمْ يُحَذِّرُوا الْأَشْرَارَ غَيْرَ النَّادِمِينَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الرَّجُوعِ عَنْ خَطِيئَتِهِمْ، ثُمَّ قَالَ إِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوا التَّحْذِيرَ وَلَمْ يَرْجِعُوا عَنْ خَطَايَاهُمْ، فَسَيَهْلِكُونَ بِأَثْمِهِمْ، هَذَا بِصَرَفِ النَّظَرِ عَنِ الصِّفَةِ الْإِضَافِيَّةِ الَّتِي نَسَمَدُّهَا مِنْ سَفَرِ حِرْقِيَالِ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُسَرُّ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ. إِلَّا أَنَّهُ وَرَعْمَ أَنَّهُ لَا يُسَرُّ بِذَلِكَ، إِذَا جَارَ التَّعْبِيرُ، إِلَّا أَنَّهُ يَأْمُرُ بِهِ، وَهَذَا هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَتَذَكَّرَهُ، وَهُوَ أَنَّهُ حَتَّى فِي نَزْعَتِهِ إِلَى الْخَيْرِ، لَنْ يُسَاوِمَ اللَّهُ أَبَدًا عَلَى بَرِّهِ أَوْ قَدَاسَتِهِ، وَهُوَ سَيُعَاقِبُ الْأَشْرَارَ عَلَى الرَّعْمِ مِنْ مِثْلِهِ إِلَى صُنْعِ الْخَيْرِ مَعَهُمْ.

أَحِبُّ أَنْ أَشْبِهَ الْأَمْرَ بِقَاضِيٍ مَثَلًا تَمَّ إِحْضَارُ ابْنِهِ إِلَيْهِ بِتُهْمَةِ السَّرِقَةِ، وَتَمَّ الْاسْتِمَاعُ إِلَى الْقَضِيَّةِ فِي الْمَحْكَمَةِ، وَالْقَاضِيِ يَعْلَمُ أَنَّ ابْنَهُ مُذْنِبٌ، وَأُصْدِرَتْ هَيْئَةُ الْمُحْلَفِينَ الْحُكْمَ بِإِدَانَتِهِ، وَبَقِيَ لِلْقَاضِيِ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى الْفَرِيقِ الْمُذْنِبِ وَفَقًّا لِمَا يَقْتَضِيهِ الْقَانُونُ. الْقَاضِيِ الْعَادِلِ، فِي ظَرْفِ مُمَاتِلِ، يُفَرِّضُ عُقُوبَةً عَادِلَةً حَتَّى عَلَى ابْنِهِ، عَلَى الرَّعْمِ مِنْ قَلْقَلِهِ الشَّخْصِي، وَعَلَى الرَّعْمِ مِنَ الْمَحَبَّةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي يُكْنُهَا لِابْنِهِ. بِدَافِعِ مَحَبَّتِهِ لِلْقَانُونِ وَالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، سَيَحْكُمُ عَلَى ابْنِهِ بِالسَّجْنِ. قَدْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِدُمُوعٍ، وَلَكِنْ نَظَرًا لِاتِّزَامِهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ سَيَقْضِي الْقَاضِيِ بِالْحَقِّ. نَرَى ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، فِي الْحَوَارِ الَّذِي كَانَ لِلَّهِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، حِينَ طَلَبَ إِبْرَاهِيمُ الْإِعْفَاءَ عَنْ سُدُومَ وَعَمُورَةَ،

وَاحْتَجَّ عَلَى إِمْكَانِيَّةِ مُعَاقَبَةِ اللَّهِ الْأَبْرَارَ مَعَ الْأَشْرَارِ. فِي النَّهَائِيَّةِ، عَادَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى رُشْدِهِ وَقَالَ: "أَدْيَانُ كُلِّ الْأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟"

مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ اللَّهَ بِحُكْمِهِ يُجْرِي الْعَدْلَ، إِنَّهُ يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ، وَهَذَا الْحُكْمُ صَادِرٌ حَتَّى فِي رُوحِهِ الْمَيَّالَةِ إِلَى الْخَيْرِ بِحَقِّ جِنْسٍ بَشَرِيٍّ مُتَمَرِّدٍ. إِذَا، مِثْلُهُ إِلَى الْخَيْرِ لَا يُلْغِي التَّزَامَهُ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ، كَمَا رَأَيْنَا هُنَا فِي هَذَا النَّصِّ فِي حَرْقِيَالٍ. مُجَدِّدًا، الْفِكْرَةَ هِيَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ يُعَاقِبُ الشَّرِيرَ، لَكِنَّهُ لَا يَفْرَحُ بِذَلِكَ، أَوْ أَنَّهُ لَا يُعَاقِبُ وَهُوَ يَشْعُرُ بِالْعِبْطَةِ، فَهُوَ لَيْسَ "مَارْكيز دي ساد"، إِنَّهُ الرَّبُّ الْإِلَهَ الْكُلِّيَّ الْقُدْرَةَ الَّذِي تُخْزِنُهُ نَوْعًا مَا عَوَاقِبُ الْخَطِيئَةِ الْبَشَرِيَّةِ عِنْدَمَا يُعَاقِبُهُمْ. إِذَا، لَا يُصَدِّرُ حُكْمَهُ أَبَدًا بِدَافِعِ الضَّغِينَةِ، عَلَى عَكْسِ حُكْمِنَا، فَحُنْ قَدْ تَطَلَّبُ الْحُكْمَ عَلَى أَسَاسِ حَقِّدٍ لَا يُعْمَلُ تَبْرِيرُهُ أَوْ تَأْرٍ شَخْصِيٍّ. لَا يَعْملُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ، لَكِنَّهُ يَعْملُ وَفُقَ مَشِيئَتِهِ الصَّالِحَةِ الْأَسَاسِيَّةِ.

النَّوْعُ الثَّانِي مِنَ الْمَحَبَّةِ الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ هُنَا، هُوَ الْمَحَبَّةُ الْمُحْسِنَةُ. وَالْفَرْقُ الْوَجِيدُ بَيْنَ الْمَيْلِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ وَالْعَمَلِ. مَحَبَّةُ اللَّهِ الْمُحْسِنَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِعَمَلِهِ تَجَاهُ الْخَلِيقَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، أَيَّ أَنَّ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ تَتَّبَعُ مِنْ مَشِيئَتِهِ الصَّالِحَةِ. وَمَا يَفْعَلُهُ هُوَ أَنَّهُ يَفِيضُ بِبَرَكَاتِهِ حَتَّى عَلَى غَيْرِ التَّائِبِينَ، وَحَتَّى عَلَى الْآثِمِينَ بِطُرُقٍ عِدَّةٍ. سَنَتَنَاوَلُ هَذَا الْمَوْضُوعَ بِوُضُوحٍ فِي تَعْلِيمِ يَسُوعَ خِلَالَ الْمَوْعِظَةِ عَلَى الْجَبَلِ.

أَوَّلًا، فَلَنَتَنَاوَلُ مَتَّى الْأَصْحَاحَ ٥ وَالْآيَاتِ ٤٣ حَتَّى ٤٨. آخِرُ الْأَصْحَاحِ ٥ فِي الْمَوْعِظَةِ عَلَى الْجَبَلِ حَيْثُ يَقْدِمُ لَنَا يَسُوعُ هَذَا التَّعْلِيمَ، حَيْثُ يَقُولُ «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَجْبُوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَمْطُرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لِأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيُّ فَضْلِ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ".

هُنَا يُعْطِي يَسُوعُ عِلْمَ أَخْلَاقٍ فَائِقًا لِلْكَنِيْسَةِ، حِينَ يَتَّخِذُ مَوْقِفًا مُعَارِضًا تَمَامًا لِـ "حَلَقَةِ"، أَيَّ أَعْرَافِ مُعَلِّمِي الشَّرِيعَةِ الشَّفَهِيَّةِ. حَيْثُ فَسَّرَ مُعَلِّمُو الشَّرِيعَةِ الْوَصِيَّةَ الْعُظْمَى فِي سِفْرِ التَّنْذِيرِ، الَّتِي تَدْعُونَا إِلَى أَنْ نُحِبَّ قَرِيبَنَا، وَأَصَافُوا فِكْرَةً إِلَى ذَلِكَ، وَهِيَ أَنَّهُ صَحِيحٌ أَنَّهُ يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ، لَكِنْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُبْغِضَ عَدُوَّكَ. فَقَالَ يَسُوعُ: "لَا، هَذَا مَا سَمِعْتُمُوهُ عَلَى لِسَانِهِمْ، لَكِنِّي أُعْطِيكُمْ مَنظُورًا مُخْتَلِفًا لِلشَّرِيعَةِ، وَهُوَ أَنَّكَ لَسْتَ مَدْعُوًّا لِتُحِبَّ قَرِيبَكَ فَحَسَبَ، بَلْ إِنَّكَ مَدْعُوٌّ لِتُحِبَّ عَدُوَّكَ. رُبَّمَا هَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنْ أَصْعَابِ التَّوَصِيَّاتِ الَّتِي نَجِدُهَا أَوْ نَسْمَعُهَا عَلَى لِسَانِ يَسُوعَ

في العهد الجديد، فكيف يمكننا أن نحب أحدهم وأن نحتقره في الوقت نفسه؟ كيف يمكننا أن نحب شخصاً ونحن بعيدون عنه أو على عداوة معه؟

في المقام الأول، حين يتكلم يسوع عن المحبة فهو لا يتكلم عن مشاعر مودّة. إن درست مفهوم العهد الجديد للمحبة فسترى أنها غالباً ما وردت بصيغة فعل بدلاً من الاسم. في ثقافتنا، يتم التعبير عن المحبة دائماً تقريباً على أنها اسم، وأنها مرتبطة بشعور؛ شعور بالرومانسية، أو شعور بالانجذاب، أو شعور بالمودّة، في حين أنه في العهد الجديد، ما يتكلم عنه يسوع هنا هو المحبة المحسنة، أي أننا مدعوون إلى أن نحب حتى أعداءنا بهذا النوع من المحبة. والأمر مرتبط بأعمالنا، إنه مرتبط بما نفعله. اسمعوا ما يقوله: "أحبوا أعداءكم أي باركوا لأعينكم. أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يبشرون إليكم ويضطرونكم" لماذا؟ "لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات".

يدعونا يسوع إلى الاقتداء بمحبة الله، لأن هذا ما يفعله الله، فلديه عالم بأسره ثائر ضده حقداً، عالم يلغنه. وبينما يلغ العالم الله، الله يباركه. وبينما يعاملونه بجد، الله يفيض ببركاته وصلاحه على الأشرار، بينما يفعلون الشرّ أحدهم بالآخر وبالله، الله يحسن إليهم. إذا، يقول لنا يسوع إنه يجدر بنا أن نتصرف بالطريقة نفسها، لماذا؟ لكي نكون أبناء أبينا الذي في السماء، لأن هذا ما يفعله الله. ثم يتابع ويوضح ذلك عبر الإشارة إلى عناية الله، حيث إنه يشرق شمسهُ على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين، ومحاصيل الظالم ترويه الأمطار مثلما تروي الأمطار محاصيل الإنسان البار، هذا ما نسميه في اللاهوت: نعمة الله العامّة، لتمييزها عن نعمته المخلصة، التي نسميها: نعمته الخاصّة، وهي استثنائية. لكن النعمة العامّة هي تلك الرحمة التي يبيدها الله نحو الجميع بدون تمييز؛ الأمطار، والهواء، والطعام، والملجأ، وجميع تلك الأمور التي تظهر إحسانه.

يجب أن أقول أمراً لأحد ذلك، وهو أنه في نهاية المطاف إحسان الله كُله، كل إحسانه، يقود في نهاية المطاف إلى دنيونة أعظم للأشرار، فأحدى الطرق التي نعبر بها عن إيماننا هي رفضنا أن نكون ممنين. وكلما أعطى الله إنساناً ما بركة، نابعة من رحمته ونعمته، ولم يشكره هذا الإنسان عليها، فإن هذا الإنسان يصاعف ذنبه وإثمهُ أمام الله. كلما نلنا بركاتٍ من يده بدون أن نشكره عليها، فعلنا ما يحذرنا منه الرسول بولس، ألا وهو جمع أو ادخار غضبٍ ليوم الغضب. وهكذا فإن المنافع والبركات التي يمنحها الله للإنسان الشرير، وغير التائب، تتحوّل في نهاية المطاف إلى مأس، بسبب رد فعل الإنسان تجاه أعمال الله الصالحة ومحبتّه. الآن، في محاضرتنا المقبلة، سأتناول الجانب الثالث لمحبة الله، وهو محبته الراضية، وهو ربّما الجانب الأهم لتلك المحبة.

الدكتور أ.ز. سي. سبرول هو مؤسس هيئة خدمات ليجونير، وكان أحد رعاة كنيسة القديس أندرو (St. Andrews Chapel) في مدينة ساتفورد بولاية فلوريدا، كما كان أول رئيس لكلية الكتاب المقدس للإصلاح (Reformation Bible College). وهو مؤلف أكثر من مائة كتاب، بما في ذلك "كلنا لاهوتيون" (Everyone's A Theologian).